

## زمالة الأمير عبد القادر الوقائع والحلفيات

أ.د. مسعودة يحيوي

جامعة الجزائر "2" أبو القاسم سعد الله

### ملخص:

تعد الزمالة التي أنشأها الأمير عبد القادر عاصمة لدولته ، من بين التنظيمات الإدارية الفريدة من نوعها في عصره ، والعهود التي جاءت بعده بحكم خصوصية هذا التنظيم ، من خصائص هذا التنظيم الفريد أن العاصمة متنقلة غير مستقرة ، فكانت هذه الميزة التي دوخت الاحتلال الفرنسي ، مما اضطره إلى اتخاذ جميع الوسائل للاكتشاف العاصمة والقضاء عليها ، بحكم أنها الجهاز التنظيمي الذي يستمد منه استمرار كفاحه وقوته في المجاهدة .

**الكلمات المفتاحية :** الأمير عبد القادر ، الزمالة ، لاموريسيير ، الدوق دومال ، التافنة .

### **Abstract:**

The fellowship established by al Amir Abdel kader as the capital of his state, among the unique administrative organizations of his time, and the eras that came after him by virtue of the specificity of this organization, one of the characteristics of this unique organization is that the capital is mobile and unstable, so this feature was the one that stunned the French occupation, forcing him to take all means to discover and eliminate the capital, by virtue of being the organizational apparatus from which he derives the continuation of his struggle and strength in the confrontation.

**Key words :** Alamir Abdel kader ; Zemala ; Lamorisiere ; Doc domelle ; Tafna .

## مقدمة:

تعد مقاومة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري نموذج مثاليا لاشتداد المقاومة الشعبية و رفض الوجود الاستعماري ، حيث تميزت الفترة ما بين 1832-1847 بمقاومة شرسة قادها مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ضد القوة الاستعمارية الفرنسية .

تمثل الزمالة العاصمة المتنقلة للامير عبد القادر دليلا على حكمة و فطنة و دهاء هذا القائد العسكري و السياسي .

و الأهمية التي يكتسبها هذا الموضوع و الذي يأتي تحت عنوان "الزمالة الوقائع و الخلفيات" كونه يمثل فترة هامة في كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي الغاشم .

ونتيجة لهذه الأهمية اخترت البحث فيه و التعمق في دراسة احداثه و تطوراته ، أما اختيار الفترة 1841-1843 فهي تمثل سنوات الزمالة بين التأسيس و السقوط .

و لعل الإشكالية المطروحة أمامنا تتمثل في دوافع الأمير من تأسيس الزمالة و ماهي أهمية الزمالة ، وكيف سقطت ؟

## 1- جهاد الأمير عبد القادر قبل تأسيس الزمالة

بعد أن تم انتخاب الأمير عبد القادر سلطانا للجزائر سنة 1832م لقب بامير المؤمنين وقام امير المؤمنين باصدار العديد من البيانات إلى الشعب الجزائري يدعوه فيها لطاعته و الدفاع عن ارض الوطن و الاتحاد فيما بينهم و التنبيه للاخطار التي تحيط بهم<sup>(1)</sup>.

وشرع في تنظيم دولته الجديدة التي جعل معسكر عاصمة لها، وكان التنظيم السياسي الذي اتبعه في هذه الدولة يقوم على أسس فدرالية تتمثل في وجود 8 مقاطعات إدارية يرأس كل مقاطعة خليفة للأمير إضافة إلى تكوين جيش وطني كان نتيجة انتصارات الأمير عبد القادر على الفرنسيين وإلحاق الهزائم بهم في عدة معارك منها خنق النطاح الأولى و

الثانية وبرج العين ونتيجة لقوة الأمير في هذه المرحلة عقدت معاهدة ديمشيل عام 1834م<sup>(2)</sup>.

استغل الأمير هذه المعاهدة حيث كرس جهوده لحل الشؤون الداخلية لمملكته وكان لايزال أمامه كثير من الصعوبات والمحاولات فهناك غيرة البعض من نجاحاته وهناك حسد الآخرين للشهرة التي امتلكها الأمير اضافة إلى الاشاعات التي نشرها منافسوه وقد وجدت آذان صاغية من البعض وهذه الشاعات تتهم الأمير بالخيانة بعدسلامه مع الكفار ورد الأمير على هذا بحدوء محددًا مكاسب هذه المعاهدة<sup>(3)</sup>.

لقد كان الفرنسيين ينظرون بريبة إلى جهود الأمير عبد القادر ي توحيد البلاد و تدعيم قوته ببناء ادارة جديدة و توسيع نفوذه، وهذا ما ادى إلى خوف المستعمر وتقديره باعلان الحرب عليه رغم معاهدة السلام التي أمضوها معه ولم يعتقد الإستعمار أن هذا القرار سيكون صاعقة لهم بهزيمة الجنرال تريزل قائد القوات الفرنسية ي معركة المقطعي 12 جوان 1835<sup>(4)</sup>.

وفي سنة 1836 واجه الأمير عبد القادر مشاكل هزت سلطته هذا من جهة ومن جهة أخرى انتصار الحاج أحمد باي قسنطينة على العدو وكذلك احتلال مدينتي معسكر وتلمسان قد اخر بسمعة الأمير العسكرية بين مواطنيه لاسيما القبائل المخزينة يضاف إلى ذلك أن الأمير قد اصيب ي معركة الرقاق بخسارة كبرى وتحرك خصومه واطهروا له العداء لكن الأمير تمكن من إنقاذ نفسه وتمكن كذلك من هزيمة الغزاة الفرنسيين في معركة تامنتة المشهورة سنة 1936م ونظرا للوضع السيئ الذي كانت عليه القوات الاستعمارية وعدم قدرتها على احتلال مدينة قسنطينة اضطرت إلى أن تعقد اتفاقية التاخنة مع الأمير في 30 ماي 1837م من طرف جنرالها ييجو واستغل الأمير هذه الهدنة لاعادة تنظيم دولته وجيشه .

وبعدها تمكنت القوات الفرنسية من احتلال قسنطينة باختراق معاهدة التاخنة وعبرت الأراضي التابعة للامير واحرقت جميع القرى والاكواخ بجبال مليانة واعلن الأمير الحرب في 19 نوفمبر 1839 وقام بهجوم على مدينة معسكر ثم وادى علاق والمتيجة وقتل من الجنود والضباط 108<sup>(5)</sup>.

لقد بدأ الصراع الحقيقي والحاسم للامير عبد القادر منذ سنة 1841 بتولي الجنرال بيجو في 22 فيفري 1841 منصب الحاكم العام في الجزائر.

وكان الأمير عبد القادر يظن أنه لن يجد صعوبة في التفاهم مع الجنرال بيجو لأنه سبق وأن اعترف له و وافقه على المطالبة بسلطة الحكم إلا أن التصريح الأول لبيجو قد أظهر عكس ما اعتقد بإعلانه عن تغيير اراءه بخصوص الشؤون الجزائرية، إضافة إلى رفضه فكرة الاحتلال الفرنسي المحدود وناد بتوسيعه.

وبعد دراسة معمقة للخصم للعنيد للقوات الفرنسية وضعت تحت تصرف بيجو 85000 رجلا وقدروا أن لهذه القوات الضخمة كافية لهزيمة الأمير وبل لطرده خارج الميدان.

كان الفرنسيون اقوى من الأمير عبد القادر إلا أنه كان أخف منهم فاعتمد على اسلوب الموراغة فكان عندما يرى هدف يحوم عدوه يتفاده ثم يقع عليه عندما يكون في ورطة لذلك فالفرنسيون والرومان معهم حق عندما يقولون أن الطابع الصعب وغير المتوقع لأرض المعركة قد أعاق تحركات جنودنا<sup>(6)</sup>.

وفي نهاية 1841م اعلن الجنرال بيجو أن من بين 60 الف رجل الذين لديه لا يوجد الا سوى أربعة الاف قادرين على خوض المعارك.

كما اعتمد الأمير في مقاومته على عنصر المفجأة و التسرب بين الطواير العدو و المروق في مقدمتهم و الحومان على اجنحتهم و الهجوم على مؤخرتهم اضافة إلى ايمانه

بهدفه كل هذه العوامل ساعدت في احداث نوع من التوازن بين وسائل الأمير الضعيفة وامكانيات العدو الضخمة (7) .

## 2- تأسيس الزمالة :

### 2-1- التعريف بالزمالة:

إن الزمالة منظمة فريدة من نوعها، كانت عبارة عن عاصمة ضخمة متنقلة تتكون من مجموعة منازل خاصة وقد كان شكلها يختلف من مكان إلى آخر فعندما تكون الزمالة في الصحراء تختفي الخيام الكثيرة في الأفق أما في التل تجدها تملأ السهل وتغطي منحدرات الجبال (8).

كانت خيام الزمالة رائعة التنسيق تراها من بعيد تحسبها مدينة حافلة (9). كما كانت مدينة الزمالة تشمل على قدر الإمكان ما كان موجودا في مدن دولة الأمير عبدالقادر وعاصمتها.

أما فيما يتعلق بمساحة هذه المدينة فقد كانت خيامها المتنقلة تنتشر من تاجون إلى جبال عمور يضاف إلى ذلك أنها كانت تاوي اسرة الأمير وعائلات خلفائه وبعض العلماء والمرابطين.

ولقد اختلف المؤرخون حول عدد سكانها الذين كانوا خليط من العرب و البربر وينتسبون إلى قبائل كثيرة اهمها بني هاشم، بني مديان ،بني شريف، بني قبضة، عكرة ،هدامة، خليفة، اولاد شعيب وحكومته (10) .

وهناك بعض المراجع تذكر أن الزمالة كان يقطنها ما بين 50الف و 70 الف ساكن مدني من النساء و الاطفال والشيوخ والعجزة و بها جميع مرافق الحياة من تجارة و صناعة و تعليم و مرافق صحية وغيرذلك (11) .

## 2-2- دوافع الأمير اسباب إنشاء الزمالة:

ان الوضع الذي اصبح عليه الأمير عبد القادر خلال 1841 و1842م وراء تاسيس مدينة الزمالة وهنا يمكن استعراض بعض الدوافع و الاسباب التي كانت وراء هذا التي تتمثل في شعور الأمير عبد القادر أنه يواجه قائد محظوظ، ذلك أن كل مراكزه الثابتة قد تعرضت للغزو و خربت كما أن القيطنة مسقط راسه قد هوجمت و خربت واصبح اعضاء اسرته الخاصة منبوذين وليس هذا فحسب فقد تعرضت العائلات المخلصة له إلى انتهاكات من غرباء فضيين كانوا يرتدون ثياب خشنة، اضافة إلى الاعتداءات جنود المحتل على الحرمات وال إلى تقام الشنيع(12).

وفي خضم هذه الظروف القاسية يائس الأمير من نصرة العالم الخارجي في وقت استولى فيه العدو على معظم المدن الكبرى في الجزائر .

وهنا عزم الأمير على تكوين عاصمة متنقلة لا يستطيع العدو إلى يدمرها بمدافعه القوية التي لا قبل للامير بها (13).

كان من العسير بعد أن سقطت مدن امارته سنة 1841 إلى يواصل الصمود هو و حلفائه في وجه حملات بيجو كثيرة العدد و المجهزة باحدث المعدات القتالية فقمعت قواته و شلت تحركتها و تنقلتها، ولم يترك له سبيلا في الامر و اصبحت اوضاع الأمير في هذه المرحلة دقيقة وصعبة، لذلك استغلها الحاكم العام و رفض ترك الأمير في حاله، بل صمم على مطاردته و احتلال جميع ما يسيطر عليه ففيسنة 1842م بلغ تدخله في الجزائر و بالتحديد في دولة الأمير ذروته و استطاعت قواته بسط نفوذ حكومة باريس حتى داخل الصحراء(14).

فالعمليات الفرنسية تكاثرت وأدى تراجع الأمير وحلفائه إلى فقدانهم سلطانهم و خسارتهم الاراضي التي كانوا يسيطرون عليها بموجب اتفاقية التافنا.

وفي نهاية 1842م فقد الأمير بلاده، فمراكزه سقطت و قواته ضعفت و لم يبقى منها إلا قلة غير قادرين على تنفيذ أي عملية قتالية اضافة إلى العمليات العسكرية الفرنسية التي نفذت في مناطق الشلف و معسكر و التافنا و الونشريس و ما أشرف شهر كانون الأول من نهايته حتى سقط مرفا تنس آخر نقطة ساحلية للامير<sup>(15)</sup>.

كذلك اضطره واجب الدين و الإنسانية إلى يواجه في فترة وجيزة امتحانا صعب و ضروريا ، لهذا قرر الإبتعاد عن مسرح الحرب مع كل الذين يقدرتون على التخلي عنهم و كل الذي لا يستطيع عند الحاجة أن ينفذهم و هكذا أنشأ الزمالة<sup>(16)</sup>.

### 2-3- المشاكل و الصعوبات التي واجهتها و تحدياتها:

واجه الأمير عبد القادر صعوبات خطيرة عند إنشاء الزمالة لكنه عمل جاهدا لتذليل هذه الصعوبات و هنا نستطيع أن نبرز كل مشكلة تعرض لها الأمير و كيف قضاء عليها.

فبالنسبة إلى المشكلة الاولى فك إلى ت تدور حول كيفية ترتيب الخيام و استطاع الأمير عبد القادر حل هذا المشاكل بتقسيم الخيام إلى دوائر و محلات اضافة إلى هذا المشكل واجه الأمير عبد القادر مشكل الدفاع عن الزمالة و اخفاء تحركاتها و التقليل من تنقلاتها و لتحقيق هذا الهدف اتخذ الأمير عبد القادر عدة اجراءات تكتيكية تتمثل في :

-عمل على ضمان عدم تسرب اخبار زمالته حتى لا تقع في قبضة الفرنسيين لذلك احاط معسكره بسرية تامة.

- قام بتولية قدور بن عبد الباقي خليفة في الصحراء الغربية كنائب له يمارس مهام الحاكم العام حتى يدافع عن زمالته و يحل مشاكل سك إلى ها<sup>(17)</sup>.

وعلى لسان الأمير عبد القادر :

(.....)وحيثما حلت الزمالة تجف مياه الابار و الجداول .لقد أقمت قوة خاصة من الشرطة لمنع تلويث المياه او تبذيرها من قطع إلى المشية و رغم جميع احتياطاتي ف إلى كثيرا من افرادها هلكوا من العطش....)(18).

كما قام الأمير بتعيين فرق لرد أي هجوم زنسي من قبل القوات الحاكم العام و قام بتثبيت مخاطر بعيدة عن زمالته لمراقبة التحركات الفرنسية، و الافادة عنهم و قام الأمير ايضا بتكليف اربعة قبائل مهمتها العاصمة المتنقلة و ارشادها أثناء تنقلاتها (19).

### 3- تنظيم الزمالة :

#### 3-1- النظام الاداري:

تحدثت المراجع التاريخية عن الزمالة بصفة مختصرة و عن تنظيمها كذلك بصفة مختصرة كثيرة .

اتخذ الأمير عبد القادر راية اعتبرها كعلم من سنة 1832 إلى 1847 و هذه الراية كانت عبارة عن ثلاثة اشربة اثنتن خضراء يتوسطهما شريط ابيض بوسطه دائرة مطرزة بالخيوط الذهبية بما يد (خمسة) مكتوب حولها\*نصر من الله و فتح قريب\* و\*ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين (20).

ولقي هذا الاجراء الغريب و الجديد نجاحا باهرا ، اذ احتوت هذه العاصمة الكبيرة جميع مؤسسات دولته و إدارتها (مجلس الشورى، تعيين الرؤساء).

و الواقع هو أن الزمالة أخذت مكان إمارته فكان فيها جميع ما وجد فيها من إدارات و مؤسسات (21).

فأعد فيها مجلسا اعلى للبت بالقضايا العالقة و مسجدا للصلاة اضافة إلى الدواوين و خزائن بيت المال و ممتلكات رجال الإمارة الشخصية و الخلفاء يضاف إلى ذلك المدارس

و مصانع الأسلحة و مخازن صيانتها و تصليحها و عين اختصاصيين مثل مدرسون و عمال الدروع<sup>(22)</sup>.

### 3-2- النظام العسكري:

على لسان الأمير عبد القادر بشأن النظام العسكري\* كان نظام التعسكر محترما من جميع و منظما تنظيما دقيقا فعندما اضرب خيمتي يعرف كل احد المكان الذي يشغله ، لقد كان معي ثلاثمائة اة اربعمائة جندي نظامي ، إلى ج إلى ب الفرس إلى الغير نظامين من بني هاشم الاغريميين الذين كانوا مخلصين الي اخلاصا خاصا و لم يكن من السهل الوصول إلي ولم افعال ذلك حفظا على امني الشخصي و لكن شعرت بضرورة إنجاز عمل الله و قد وضعت ثقتي فيه لتقوية و حماية الذراع الذي احمل لواءه<sup>(23)</sup>.

وفي جميع معاركه من 1832 إلى 1847 كانت قواته مقسمة إلى قسمين نظامية و غير نظامية.

القوات النظامية جاهزة للحرب و مستعدة للأن تقاتل دائما عند أول إشارة تعطى لها إما القوات الغير نظامية فقد كانت مكونة في معظمها من القبائل و كانت تندفع إلى ساحات القتال بكل شجاعة و قوة و لا تعود إلى ديارها إلا بعد انتهاء الجهاد<sup>(24)</sup>

وكان الفرسان النظاميين يرتدون اللون الاحمر ،ورغم إلى القوات النظامية قد ساعدت الأمير في جميع حروبة الا إلى جانب الفوضة وعدم النظام كان غالبا عنها ، أما القوات النظامية فقد أقدمت على المخاطر بكل ثقة الا أنها ابتعدت عن الإنضباط ، أما بالنسبة للأسلحة وخاصة الثقيلة فقد كانت محدودة ونادرة فقد كان تجهيزها بسيط خاليا من المعدات القتالية لذلك لجأ الأمير إلى طرق أخرى استعان بها عن الوسائل المادية<sup>(25)</sup> .

### 3-3-الحياة العامة :

لقد اعتنى الأمير عبد القادر بتنظيم الحياة العامة لسكان الزمالة، وذلك بتنظيم خيامها في حلها و ترحالها فحدد مكان اقامة كل فرد و كل عائلة و كل دوار و كل قبيلة عند القدوم و التنقل، كما قام بتقسيم الزمالة على قبائل وكل قبيلة إلى دوائر و كل دوار يضم خمسة او عشرة او عشرين خيمة و لكل قبيلة رئيس او زعيم مهمته تولى شؤونها و النيابة عن افرادها ، اما الدوار فيتولى امره شيخ وعدد دواوير الزمالة ثلاثمئة و ثمانية و ستين دوار ويمكن تشبيه شكل الزمالة عند الاستقرار بدائرة مركزها خيمة الأمير، و هذه الدائرة مجزة إلى اربعة اجزاء ، و تتحكم مراتب الاشخاص و وظائفهم و مكانتهم في اقتراحهم من دائرة الأمير الخاصة ، اما القبائل المتوافدة على الزمالة فالاولوية إلى الاقدم وقد اختار الأمير خلفاء له بعناية كبيرة و عند غيابها عن الزمالة يتولى احد الخلفاء امورها وهناك خمسمئة فارس من القوات النظامية يتولون حمايتها و هناك مئات المتطوعين من الذين يعيشون فيها (26)

ولقد عمل الأمير على اخفاء تحركات الزمالة و التقليل من تنقلاتها (27)، اما بالنسبة إلى المواد الغذائية و سلع التبادل التجاري فقد ك إلى و يجابونها من المناطق المجاورة إلى الزمالة اما بالنسبة للحاجيات العائلية فإنها كانت تتناسب مع مواردها المالية و قدرة افرادها على الشراء (28).

#### 4- تنقلاتها وأهميتها

##### 4-1- تنقلات الزمالة:

بدأت الاحداث سنة 1843م في ضواحي شرشال فقد توجه الجنرال دابر نحو هذه المنطقة و قد جند الأمير عبد القادر 1000 مقاتل و اخذ يتجول باسطة سلطته على قبائل وادي الشلف فحصلت بين القوتين مناوشات ما بين 23 و 25 كانون الثاني ادت انسحاب الأمير إلى جبال بني اراغ، و في الوقت ذاته و بتاريخ 22 كانون الثاني خرج الجنرال ش إلى فار نيه من مليانة و عاقب بعض القبائل القاطنة في ناحيتها الجنوبية و التي كانت

قبل ذلك بقليل مركز نشاط البركاني أما الدوق دومال فقد إلى طلق بدوره ايضا في 22 كانون الثاني من الشلف الأعلى و دخل بوغار بعد أربعة أيام فقط و نزع خيم ابن علال في الثامن و العشرين من الشهر ذاته ثم عاد إلى المدية في أوائل شهر شباط.

و عندما علم بيجو بتحركات الأمير عبد القادر في منطقة شرشال و بني اراغ ارسل العقيد ادميرول أدرس الوضع و استقاء المعلومات فنفذ العقيد المهمة و افاد الحاكم العام بوجود الامي عبد القادر هناك، وفي نفس الوقت سار الحاكم العام في ليل 27 و 28 كانون الثاني نحو شرشال و أخذ يبحث عن الأمير عبد القادر طوال ثلاثة أيام و لكن دون نتيجة و لحسن الحظ كانت الاجواء الطبيعية متقلبة و غير ملائمة ميزتها الثلوج و العواصف مما ادى إلى تعطيل مهمة بيجو خصوصا بعد سبعة شباط فرجع بيجو إلى مستغانم يجرؤ اذيال الهزيمة و هناك خيمت جنوده في معسكرات

وطوال هذه الفترة كان الأمير عبد القادر في منطقة بني اوراغ يراقب الفرنسيين و يتحين الفرصة للإنقضاض عليهم و لما استحال عليه ذلك ترك المنطقة و توجه نحو الجعافرة ثم سهول اغريس ثم قوجلية في الصحراء مكان وجود الزمالة، ومع بداية فصل الربيع أخذت الاستعدادات الهجومية و البحث عن الأمير عبد القادر و عاصمته المتنقلة نطاقا واسعا (29).

وقد تنقلت الزمالة مدة بين وادي المالح واولاد نايل والضاية الكحلة وذهبت جهود العدو ادراج الرياح في البحث عنها (30).

لقد قاد لامورسيير قواته مرتين للكشف عن مكان الزمالة رده خائبا في هاتين المرتين ومع الأسف فقد تعاون الخونة من الشعب الجزائري وعلى رأسهم اعمر بن فراح مع العدو الفرنسي فقد عرض هذا الاخير خدماته على الفرنسيين لاعلامهم بالمكان التي توجد فيه الزمالة بالتحديد وفي الحال وضعت الخطة ولم يكن المستعمر متخوفا من عبد القادر لعلمهم

بانشغاله بمراقبة تحركات لامور سبير وتم اختيار الكتيبة المعسكرة في المدينة للقيام بمهمة البحث عن الزمالة و تم تكليف الدوق دومال بتنفيذ الخطة .

و في 10 ماي 1843 غادر دومال مركز بوغار على رأس جيش قوامه 1300 راجل و600 فارس و مدفع ميدان و قد أخبرهم الشيخ عمر عن وجود الزمالة في الكوجلية الا أن الفرنسيين عند ما وصلوها في 14 ماي لم يعثروا عليها و ذلك لأن الزمالة غادرت الكوجلية إلى مكان لم يتم التعرف عليه و بقي الفرنسيون يبحثون عنها تاءهين حائرين ، وقد ارهق الجنود الفرنسيون بسبب رياح السموم التي هبت عليهم مما ادى بهم إلى التوقف و تكويم اسلحتهم و تقدم الدوق دومال إلى الأمام بعض الاميال متبوعا بفرس إلى ه فقط .

وفي 16 ماي جاء الشيخ الخائن راكضا على فرسه معلنا إلى الزمالة تعسكر عند نبع طاغن وفي الحال أعطى دومال أوامره بالسير نحو المكان المذكور ووصلوا لها لتنتهي بذلك تنقلات الزمالة (31).

#### 4-2- دورها واهميتها:

تعد بحق هذه الطريقة اية من آيات الصمود و الايمان ،وتعتبر هذه الطريقة فريدة في تاريخ العواصم .

واستطاع الأمير بمذه العاصمة إلى يواصل القتال سنوات أخرى فصعد إلى متيجة قلب المعسكر الاستعماري وفتك بالقوات الفرنسية قاصدا نشر الخوف و بث الذعر في نفوس المستعمر حتى لا يشعر الراحة في الارض المحتلة (32).

واودع الأمير وخلفاءه فيها جميع ما لديهم من أموال و نفائس ووثائق وكل ماله قيمة في نظرهم كما كانت مخزن لحفظ تجهيزات قواته ومعداته من أسلحة والبسه وذخيرته وغيرها

ومكان إقامة عائلات قادة الجهاد واقاربهم والمركز الإداري للدولة وملجأ كل مطارذ غير قادر على حمل السلاح و مكان للعلاج و استجمام المقاومين(33).

وكان الناس يعتبرون الزمالة ملجأً آمناً فكانو يرسلون إليها أشياءهم الثمينة و قطعان ماشيتهم و نساءهم و أطفالهم و شيوخهم وعجزتهم .

وعمل الأمير عبد القادر على تشجيع الهجرة و الدعاية لها و لذلك كان العدد يزداد يوماً بجمك الدوافع الإنسانية القوية و قد ادى هذا إلى توحيد القبائل تدريجاً و دون شعور و اصبح هؤلاء تجمعهم اقوى الروابط و الوشائج الإنسانية و الواقع إلى الزمالة قد أصبحت في الأخير وسيلة قوية ضد هروب بعض القبائل (34).

ذلك أنه عندما يغريهم الفرنسيون بالوعود المعسولة قائلين لهم: "هلهم الينا سنحميكم" لا يستطيعون التجاوب معهم حتى ولو ارادوا لأن أطفالهم و نساءهم و قطعان ماشيتهم كلها بحوزة الزمالة و ضمن هذا عدم هروب القبائل و بهذا اصبحت الزمالة التي كان الأمير عبد القادر قد أنشأها كاجراء محلي محركا سياسيا قويا في يد الأمير عبد القادر له تاثير عظيم (35).

وكان الفرنسيون يدركون مدى اهمية الزمالة فاصبحوا يرون فيها الخلية الأساسية لنفوذ الأمير عبد القادر وكانوا يؤكدون أنها كانت مخزن لثروة كبيرة و من هنا أصبحت الهدف الاساسي لقوات المستعمر و لنشاطاته من كبار الضباط ، وقادة الوحدات العسكرية كلهم كانوا حرصين على اكتشاف القيمة الضخمة و كانوا يبذلون نشاطا حماسيا للاستلاء عليها(36).

## 5- سقوط الزمالة و نتائجها

### 5-1- سقوط الزمالة:

أصبحت الزمالة المدينة المتنقلة للامير عبد القادر الهدف الرئيسي لنشاط الحاكم العام بيجو الذي وجه كامل اهتماماته لتنفيذ مبتغاه فامر قواته بالتحركل في المكان المحدد له للتفتيش عن الأمير و القبض على سكان عاصمته وكان الأمير عبد القادر يظن أن الامورسيير هو الخطر الحقيقي الذي يهدد وجود الزمالة لذلك ارسل زمالته إلى جبال عمور بينما توجه هو مع 1500 فارس إلى تاغدت و تمركز في جبال سرسو لمراقبة وحدات لاموريسير عليه بذلك يتفادى سقوطها<sup>(37)</sup>.

وكانت الفترة التي قاضاها الأمير عبد القادر في نواحي سرسو حوالي عشرون يوما وطوال هذه الفترة أحاط الأمير معسكره بالسرية التامة لاجتناب تسرب أي اخبار عنه للعدو حيث عاش في عزلة عن العالم الخارجي و كان يعيش على ثمار البلوط .

إلا أن التخطيطات و التضحيات الأمير عبد القادر قضى عليها بخيانة عمر بن فرات اغا من بني عياد المعروفين بالسطو و النهب يوم 16 ماي على الساعة 11 قبل الظهر الذي اخبر الدوق دومال أنه شاهد جمعا هائلا من الرجال و النساء والاطفال منهمكين في ضرب الخيام كما رأى قطعانا كبيرة من المشية.

ولأن الزمالة لم تكن تبعد الا حوالي كيلومتر واحد من القوات الفرنسية رأى الدوق دومال ضرورة اتخاذ قرار فوري بالهجوم قبل أن يكتشف و تستعد الزمالة للدفاع عن نفسها،وعلى الرغم من إلى قوات المشاة كانت متخلفة عن القوات الرئيسية بحوالي ساعتين فقد قررت قيادة دومال القيام بالهجوم فورا و أصدر جميع الأوامر الضرورية لهذه الغاية<sup>(38)</sup>.

وقسم الدوق دومال الفرقة الجاهزة إلى مجموعتين و حدد لكل منها مهامها،و كانت الوحدة الأولى بقيادة العميد يوسف و مؤلفة من عناصر جزائرية و مهمتها الهجوم المباشر على الزمالة ثم محاربة عناصر الأمير النظاميين و الإستلاء على دائرهم، أما الوحدة الثانية فهي بقيادة العميد موريس مؤلفة من الفرسان الافريقيون وأفراد الدرك و مهمتها احاطة الزمالة من الجنوب ثم التوجه شمالا نحو الدوائر و نفذت الخطة و تقدمت بعض العناصر

نحو المخيمات مرتدية برانيس حمراء فاعتلت زغريد سكان الزمالة و فرحوا برئيتهم معتقدين أنهم فرسان الأمير النظاميين و يتضح أنها خطة أراد من خلالها العدو تغليط السكان و خداعهم (39).

إلا أن القوات اغير النظامية و السبايس عند تقابلها وجها لوجه مع الزمالة تراجعت عن الهجوم عندها تقدم الدوق دومال بدون أي تردد او تفكير مع خياله و تقدم موريس من الجنوب و شن هجوم مضادا فتشجعت السبايس و هجمت هي الأخرى (40).

لقد ارتكب الفرنسيون في هذه الواقعة اعمال وحشية كقتل الشيوخ و الرضع و النساء و في هذه المعركة استشهد محمد بن علال الذراع الايمن للأمير عبد القادر في الادارة و الجهاد (41).

إن مشهد الزمالة اقرب إلى الخيال منه إلى الواقع فقد ساد فيه هرج ومرج وامتزج عويل النساء بصيحات الرجال مع نقيق الخيال و اصوات الماعز و البقر و البغال، تدخل حرس الزمالة من المشاة النظاميين في المعركة لدفاع و المقاومة ولكن بعد فوات الاو إلى (42).

الا أن هذه الفرقة بذلت كل ما في وسعها لرد الفرنسيين عن دائرة القائد الأمير عبد القادر (43).

الا أن الهجوم المفاجئ لعب الدور الاكبر في هزيمة الجزائريين الذين ارتبكوا فلم يستطيعوا تجريد اسلحتهم هذا بالاضافة إلى غياب الجيشو خلفاء الأمير و قاداته المحنكين (44).

و في يوم 16 مأي 1843 ضاعت زمالة الأمير عبد القادر في معركة عين طاغين بجبال عمور اثناء غياب الأمير عنها، و كانت هذه الضربة موجعة للأمير عبد القادر و لقواته و أنصاره (45).

## 5-2- نتائج سقوط الزمالة:

لقد ادى سقوط الزمالة إلى عدة نتائج سوف نبرزها بالنسبة إلى الفرنسيين و بالنسبة إلى الأمير عبد القادر .

## 5-2-1- بالنسبة للفرنسيين:

لقد ادت سيطرت الدوق دومال على زمالة الأمير عبد القادر إلى السيطرة الكاملة للفرنسيين على الجزائر ذلك أنهم اصبحوا في موقف قوة و تمكنوا من بسط سيطرتهم على كامل التراب الجزائري و تمكنوا من فرض إلى ضمهم و قوانينهم و لم يعد في هدفهم إلا ملاحقة الأمير و تتبع تحركات الأنصار القليلة التي معه (46).

أما بالنسبة للقتلى و الجرحى في صفوف الفرنسيين فلم تكن كبيرة فقط القليل من الجنود قدروا بتسعة عناصر بما فيهم المقدم اريفيل و جرح اثنى عشرة آخرين (47) .

أما الغنائم فقد ك إلى ت كبيرة جدا نعددها في نقاط

1- الآلاف الرؤوس من الماشية.

2- استيلاء الفرنسيين على مكتبة الأمير نحو 5000 مخطوطة مجلدة تجليدا فاخرا.

3- الإستيلاء على خزائن بيت مال التي ك إلى ت تحتوى على عدة ملايين من الفرنكات.

4- الإستيلاء على صناديق الولايات و ودائع الخلفاء.

5- نهب المجوهرات و قطع النقود النادرة من الذهب والفضة وحلي النساء

6- أخذ الثياب الفاخرة واللؤلؤ والأحجار الكريمة (48).

يبدو أن واقعة الزمالة كانت لصالح الاستعمار الفرنسي نظرا للمكاسب التي عددناها.

## 5-2-2- بالنسبة للأمير عبد القادر:

أهم نتيجة هي خسارته للزمالة و التي بسقوطها أصبحت الجزائر خاضعة للاستعمار الفرنسي لأنها كانت مركز قوته و سيطرته لهذا أصبح الأمير عبد القادر و قواته في حالة متدهورة خاصة في الجانب العسكري و لم يعد يستطيع التنقل بحرية على الأراضي الجزائرية بل و أصبح الأمير مهددا بالقبض عليه أيضا خسارة افراد قواته و سكان عاصمته المتنقلة نظرا للخسائر الكبيرة و الفادحة في الأرواح و الممتلكات حيث قدر عدد القتلى بثلاثمئة رجل و أسرى ثلاثة الاف شخص من بينهم عائلة سيدي جبار لابن علال علما إلى أسرة الأمير عبد القادر نجت من أيدي الفرنسيين (49).

### خاتمة :

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الأمير عبد القادر كان يتميز بذكاء سياسي ، وحنكة عسكرية ، مكنته من استحداث تنظيم إداري فريد عجزت عن إنشائه أعظم الدول ، ولذلك بتأسيسه لدوله حديثة متميزة تميز عاصمته المتنقلة التي عجز الجيش الفرنسي على القضاء عليها ، حتى استعان بالخونة والمخبرين ، وبذلك كان الأمير عبد القادر يستمد قوته من تلك العاصمة ، وبسقوط عاصمته بدأ تقهقر قواته وواصل الجيش الفرنسي مطاردته إلى غاية الصحراء جنوبا .

## الهوامش :

- (1) أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 41.
- (2) صالح فركوس. تاريخ الجزائر المراحل الكبرى، دار العلوم للنشر والتوزيع ص 202-203.
- (3) أبو القاسم سعد الله. حياة الأمير عبد القادر، تاليف شارل هنري تشرشل ، ديو إلى المطبوعات الجامعية 2004 الجزائر ، ص 114-115.
- (4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية ، المرجع السابق ، ص 42.
- (5) صالح فركوس، المرجع السابق صفحة 204.
- (6) أبو القاسم سعد الله. حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق ، ص ص 251-253.
- (7) المرجع نفسه ، ص 251-253.
- (8) أبو القاسم سعد الله. حياة الأمير عبد القادر المرجع السابق ، ص 256.
- (9) شريط عبد الله. الميللي مبارك، مختصر تاريخ الجزائر السياسي والثقافي و الاجتماعي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985. ، ص 247.
- (10) أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري. دار الرائد للكتاب الجزائر الطبعة الثانية الجزء الأول. ص 426-428.
- (11) مياسي ابراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1999.
- (12) أبو القاسم سعد الله. حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق ، ص 256.
- (13) عبد الله شريط، مبارك الميللي ، المرجع السابق ، ص 247.
- (14) أديب حرب، المرجع السابق ، ص 422.
- (15) أديب حرب ، المرجع نفسه ، ص 423.
- (16) أبو القاسم سعد الله. حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق ، ص 256.

- (17) أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق ، ص 428-429.
- (18) أبو القاسم سعد الله، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 278.
- (19) أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، المرجع السابق ، ص 428.
- (20) يحي بوعزيز: بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري ، المرجع السابق ، ص 2.
- (21) اديب حرب ، المرجع السابق ، ص 595.
- (22) المرجع نفسه ، ص 427.
- (23) أبو القاسم سعد الله، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 278.
- (24) اديب حرب، التاريخ العسكري والاداري لامير عبد القادر الجزائري، ط 2، ج 2، دارالرائد للكتاب، الجزائر، ص 338.
- (25) اديب حرب، المرجع السابق، ص 436 - 338.
- (26) فتحى دردار ، المرجع السابق ، ص 77.
- (27) اديب حرب، التاريخ العسكري والاداري لامير عبد القادر الجزائري، ط 2، ج 1، دارالرائد للكتاب، الجزائر، ص 595.
- (28) المرجع نفسه، ص 427.
- (29) أديب حرب ، المرجع السابق، ص ص 424-425-426.
- (30) ابو القاسم سعد الله، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 274-275.
- (31) فتحى دردار ، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847، الجزائر 2001 ص 72.
- (32) عبدالله شريط، مبارك الميلي، المرجع السابق ، ص 247.
- (33) فتحى دردار ، المرجع السابق، ص 77.
- (34) أبو القاسم سعد الله، حياة الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص 257.
- (35) ابو القاسم سعد الله، المرجع السابق ، ص 257.

- (36) المرجع نفسه، صفحة 273.
- (37) اديب حرب، المرجع السابق، ص 431.
- (38) فتحى دردار، المرجع السابق، ص ص 78-79.
- (39) اديب حرب، المرجع السابق، ص ص 435-436.
- (40) فتحى دردار ، المرجع السابق ، ص 80.
- (41) يحي بوغزير، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري، ط1، نشر و توزيع المكتبة الشرقية، القاهرة، ص 70.
- (42) فتحى دردار ، المرجع السابق ، ص 80.
- (43) اديب حرب ، المرجع السابق ، ص 437.
- (44) فتحى دردار، المرجع السابق ، ص 80.
- (45) يحي بوغزير، الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بالمليية ، دار البعث لطباعة و النشر ، قسنطينة الجزائر ص 17.
- (46) اديب حرب ، المرجع السابق ص ص 437-439.
- (47) المرجع نفسه ص ص 334-440.
- (48) فتحى دردار المرجع السابق ص 80.
- (49) اديب حرب ، المرجع السابق ، ص 440.

### قائمة المصادر والمراجع:

- 1- سعد الله أبو القاسم، حياة الأمير عبد القادر، تأليف شارل هنري تشرشل ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2004..
- 2- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري. دار الرائد للكتاب الجزائر الطبعة الثانية الجزء الأول.
- 3- أديب حرب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري ، دار الرائد للكتاب الجزائر ، الطبعة الثانية ، الجزء الثاني.

- 4- سعد الله ابو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930 الجزء الثاني ، الطبعة الثالثة ، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر .
- 5- فركوس صالح، تاريخ الجزائر المرحل الكبرى ، دار العلوم للنشر والتوزيع.
- 6- شريط عبد الله.الميلي مبارك، مختصر تاريخ الجزائرالسياسي والثقافي و الاجتماعي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985.
- 7- مياسي ابراهيم، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1999 .
- 8- بوعزيز يحي، الجديد في علاقات الأمير عبد القادرمع اسبانيا وحكامها العسكريين بميليلة تاليف ميكيل دوايببالزا دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر.
- 9- دردار فتحي، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847 الجزائر، 2001 .
- 10- بوعزيز يحي، بطل الكفاح الأمير عبد القادر الجزائري ، نشر و توزيع المكتبة الشرقية الطبعة الأولى القاهرة.